



أموت وأعرف مُبتكراً هذا التوصيف التاريخي: عنق الزجاجة ... لأنني ولدت في عالم لا يتحدث إلا عن الأعناق: إما الأعناق المطأطة، أو الأعناق المقطعة، أو الأعناق المعلقة، أو الأعناق المُسلسلة بثروات الشعوب الخ. بدأ هذا المصطلح معى منذ الساعة الأولى التي كنت أسترق فيها السمع لحوار والدي ووالدتي وأنا في عالم الظلمات بين صرخات طلق والدتي وكلمات والدي المهدئة لها والمبشرة بخير كبير ينتظراهما بعد أن أخرج لأملئ لهما حياتهما:

هذه مرحلة عنق الزجاجة وبعد أن تلدي هذا الشقي ستراحبين كثيراً، ويخرج الشقي فتشتكي أمي لأبي وتتلو عليه ما كسرت وما خربت فيهدئها مذكراً إياها عنق الزجاجة ذاتها، وأنه قريباً سيصبح شاباً يحمل هم عائلته ووالديه وإخوته، ولم أُخيب ظنّ والدي فانتقلت لمرحلة مراهقة زجاجية بحثة، ولكن هيئات أن تنتهي الحياة هنا بل يشتكي هذا المراهق لوالديه صعوبة امتحانات الثانوية العامة، وأزمات هذه المحطة المعقّدة من حياة أي مراهق، فينكره بصعوبة المرحلة وأنها فترة قصيرة، وأنني سأشهد وربّي مروري الموفق من عنق الزجاجة، وهكذا دواليك قبل دخولي الجامعة وبعدها، وقبل الزواج وبعده، عندما كنت عطلاً بطالاً وعندما صرت شغيلأً تعبيأً ... عنق الزجاجة بات مصطلحاً يطاردني حتى في كوابيسي يا سادة. مساكين شعوبنا العربية، فكلهم يعيشون داخل زجاجة منذ أن عرف العالم الزجاج على يد الفينيقين، حيث ننتقل سوية -

زرافات ووحدانا – من أزمة إلى أزمة برفقة حاجة المواطن ومشاكله ومطبات الحياة نزولاً وصعوداً، فما يزيد ذلك من عزم قادة الأمة غير خطابات بلها، تحذر من خطر مؤامرة شديدة، وأننا بتنا أقرب ما نكون من عنق الزجاجة والتي سنخرج منها، ما أن تنتهي الحرب الضروس مع أعداء الأمة في الداخل والخارج. لا أزعم أنني الوحيد من بين كل المحشورين داخل هذه القنينة الذي أعيش حياة بلا زجاج وبلا عنق، فكلنا يا صديقي في الهوا سوا، وحتى في الهوا سوا نشاهد إسماعيل يس وهو يختبئ داخل صندوق مشحون من أجل الحصول على عمل في فلمه عام 1951، ألم أقل لكم أنها مؤامرة لا تريد لنا إلا أن نُحشر سوياً؟ ربما لا يريدون لنا أن ننفرق، أو ربما لا نريد – معاشر المحشورين – أن نخرج من قُمقم صنعتناه بأيدينا، لا أدرى فعلاً ولكنني حقاً لا أهتم، فلم تعد تستطيع كمواطن في خضم ثورات الربيع العربي أن تذكر اسمأ من أسماء بنى شعبك خرج من هذا العنق الصنّيق سوياً الشهداء، فأكرمنا يا رب بالخروج من هذه الزحمة بأقرب طرق الوصول إليك، هذا وقوموا معاشر المتضايقين إلى عنق زجاجاتكم يرحمنا ويرحّمكم الله.

المصادر: